

الخميس 28-02-2008

181- قراءة في أحلام فترة النفاضة

حلم 37

المحمل يتمايل فوق الجمل المزين بالألوان والورود. أمامه رجل يغرس في فيه عامودا ذا رأس تدلي منها شراشيب ورأس الجمل في مستوى أول طابق من بيت أطل أنا من نافذته وتلاقت عيني مع عين الجمل فقرأت فيها ابتسامة وغمزة وحلت لي البركة فطرت مع موقعي وراء النافذة ودرت حول رأس الجمل مجلباي وشعري المنفوش وكبر الناس وهللو وزهللو لوقوع المعجزة وتماديت أنا فارتفعت في الجو وتراجعت نحو سطح بيتي وهبطت. وبعد مرور المحمل تجمع الناس أمام البيت يريدون مشاهدة الإنسان الطائر. وإذا بهم يتحولون فجأة من الاعجاب إلى الخوف والحذر وقالوا إن روحا شريرة حلت بالشخص الطائر وأن طيرانه حول رأس الجمل نذير شؤم للناس جميعا وأنه يجب أن يبرأ من الشيطان وذلك مجلده حتى يتطهر تماما فإذا رفض الدواء عرض نفسه للعقاب المناسب وهو القتل، وركب الرعب الشاب وأسرته واستنجدت الأسرة بالشرطة وأشتط المأمور أن يرى المعجزة وهي تحدث أمام عينيه وذهب إلى البيت ورأى المعجزة وبهر بها حقا ولكنه وجد نفسه بين رأيين. الأسرة تقول إنها كرامة من كرامات الأولياء والناس تؤكد أنه عبث من الشيطان ونذير شر.

وأخيرا قرر المأمور أن يضع الشاب في السجن حتى ينسى الموضوع برمته.

القراءة:

[أكرر دون ملل أن هذا إبداع بنظام الأحلام وليست أحلاما يحكيها المبدع].

أحلام الطيران (!!) هذه إحداها، كيف عرف نجيب محفوظ نظام الحلم بكل هذه الدقة؟ وكأنه يعلم فرويد أن الحلم إبداع أصلاً، علاقة نجيب محفوظ بفرويد علاقة حميمة بها اعتراف - معناد منه - بفضل كل من أضاف رؤية جديدة للمسيرة البشرية، كان عادة ما يدافع عنه إذا أمتح لبعض اختلافي معه (مع فرويد) أو قمت بنقده بقسوة، مع كل احترامي لعطاء هذا العبقري الفذ.

المهم أحلام الطيران بالذات عند فرويد هي رموز جنسية عادة، مع أن أحلامى شخصيا بالطيران لا أشعر فيها إلا بذلك الانسياب الحقيقي، والقدرة على التحكم في تحركات جسمي بالذات في كل الاتجاهات، منتصرا على الجاذبية الأرضية ودون أدنى حركة من أطراف جميعا، أشعر معها أنني اتجه إليه بعد أن تخلصت من الأرض، وليس من الجسد.

وصلني من هذا الحلم المرتبط بكسوة الحمل ما يؤكد أحلامى أكثر من تفسيرات فرويد،

البداية هنا كانت حين التقت عيني الخالم بعيون الجمل، ثم نداء (بابتسامه وغمزة) فتجل الركبة فالطيران، النافذة في الدور الأول، والقفز منها للمشاركة، أو استجابة لنداء عيون الجمل أسهل وأقرب، لكن بدلا من ذلك، حلت المعجزة ليظهر منسابا يدور حول رأس الجمل، يدور أو "يطوف"، ربما.

هذه الوصلة الحميمة بالأصل، بالإضافة إلى أنه حمل وليس قردا، ربما هي التي سمحت بالانطلاق إلى سعى الوصل ضد جذب الطين،

الناس الذين رضوا بأن تنتهي حياتهم عند هامة رؤوسهم - عقولهم - يخافون ما لا يعرفون فيرفضونه، فهو الشيطان ولا حل إلا بجلد من تلبسه، حتى يتطهر، وإلا فهو القتل،

فماذا تفعل السلطة؟ سلطة العقل، أو سلطة المؤسسة، أو سلطة القهر؟

هل تصدق الأسرة التي تدعم حق الإنسان في التصعيد إلى الوصل، بعد استلام رسالة الأصل؟، أم تخشى العامة المتشككين بكل العادي جدا، ضد أي تجاوز.

الخل الذي انتهى به الحلم يعلن ميوعة السلطة الجديدة وعجزها أن تحسم الأمر بين "الأصل الوصل" في ناحية، و"الإنكار الجمود" في ناحية أخرى.

الخل الهروبي الذي لجأ إليه هي أن تغلق هذه الملفات كلها دون حسم لتدع ما للأسرة للأسرة، وما للناس للناس،

هذه تأمل، وهؤلاء أجن من أن يسمحوا،

وليُسجن الإنسان حيث توقف

وليمارس ما يشاء في سره

حتى ينسى الجميع "الموضوع" برمته

فهل ينسى الفتى الطائر.

وهل يمكن أن ننسى دون أن نضيع؟

وهل نضيع إلا لأننا ننسى؟

خوفاً من الناس

وخوفاً من السلطة المنشقة

وخوفاً من أنفسنا

فهو السجن سجن الفكر الطليق،

سجن الحس الطائر

سجن الروح،

سجن العقل الآخر.

هل هذا هو الحل؟

أم أننا سوف نقبل التحدي "إليه"، ونستجيب للنداء ونطوف حول رأس العجل!؟

حلم 38

في حجرتي جالس أستمع إلى أغنية يذيعها الفوغراف، دخلت من الباب المفتوح فتاة في العشرين جميلة ورشيقة ومثيرة. اكتسحتني دهشة ورغبة فقممت من مجلسي واتجهت نحوها حتى وقفت قبالتها. وبهدوء مدت يدها بخطاب فتناولته ونظرت فيه ثم رددته إليها وأنا أقول لها إنني لا أستطيع القراءة لضعف بصري وطلبت منها أن تقرأه هي ولكنها اعتذرت بأنها لا تقرأ ولا تكتب وأن والدها كتبه للأمير المسطر اسمه على الظرف ووصاها والدها قبل وفاته بأن تيجئني بالخطاب لأخمله إلى الأمير، وقلت لها ودهشتي تتزايد إنني لا أعرف الأمير ولا أي أمير غيره وساوري الارتياح من ناحيتها وحاولت تغيير الموضوع ولكنها ذهبت.

وعندما كنت أعر جسر قصر النيل في طريقي إلى عملي ظهرت لي عند نهايته فتجاهلتها ولكنها تبعتني مسافة غير قصيرة.

وعندما عدت إلى مسكني وجدتها مستقرة. حذرتها من أن تعود إلى موضوع الخطاب والأمير. ومر وقت طيب ولكني لم أخل من الوسوس. والظاهر أنها لم تخل كذلك من مخاوف. وكان واضحا أننا نريد الهرب بطريقة أو بأخرى.

القراءة:

هذه الفتاة!

ليست هي هي، لكنها يمكن أن تكون هي هي

من أول (حلم 2) تلك الفتاة التي كانت في المقدمة وهو يتبعها إلى السكن لينتهي الحلم وهو يبحث عنها في السوق، ثم إلى أخته والفونوجراف في حلم (9) التي انقلبت إلى جريتا جاريو، لينتهي الحلم وهي ترفض لأن أمها تدرى كل شيء، مرورا بفتاه الترام حلم (3) مع أنها أبعد من هذه وتلك إلا في نداء الأعين والمتابعة، ثم بنت ريا في المطار (حلم 13). أما حلم (25) فهو الأقرب تذكراً بما ظهر عنده من رغبة في هذا الحلم الحالي، ثم خذ عندك فتاة صالة الميسر (حلم 28)،

غالبا سوف يكون "لهذه الفتاة"، التي ليست بالضرورة هي هي شأن في الدراسة الجامعة.

الملاحظ في معظم توجهات ظهور واختفاء هذه الفتاة هو أن تقفر "رغبة" ماء، ثم يتكرر الظهور والاختفاء، ويجرى البحث أو المتابعة، وهو يمضي معها عادة وقتا طيبا غامضا بين الحين والحين تلحقه الوسوس أو المخاوف أو الأحزان، حتى فتاة القارب، يمكن أن تكون إحدى تجلياتها (حلم 20).

بمجرد ظهور فتاة حلمنا الحال اكتسحته رغبة ودهشة، ربما كالعادة، لكن الفتاة لبست في هذا اللقاء الأول دور الرسول حامل الرسالة إلى مجهول (أمير)، لا أكثر.

هل كانت حجته بضعف البصر هذه حجة يتحایل بها حتى يُبقى الفتاة فترة أطول، مهما قُضت؟ ربما

إلا أن حجتها جاءت أقوى من تعلله بعجزه الحقيقي أو المدعى: أنها لا تقرأ ولا تكتب .

من هو الأمير؟

ومن هي الفتاة، خصوصا وأنها ظهرت من جديد، عند نهاية الجسر، لماذا تجاهلها وأين ذهب حب الاستطلاع المتوقع عندما ظهرت من جديد على الجسر ولماذا كان يتجاهلها وهو يحشى موضوع الرسالة والأمير؟

حزرتني مقاطع من أغان متفرقة ... "بابا جئى ورايا"، "حزج على بابا ماروحشى السينما" ثم "عندك عمى قولّه عليه" ورفضتها جميعا،

الفتاة هي التي تبعته هذه المرة على الجسر

قارن بين بحثه عن الفتاة وملاحقتها (حلم 2) وبين الفتاة هنا وهي تتبعه "مسافة غير قصيرة".

مثل هذه المتابعة الخلفية أو الأمامية تكررت أيضا في الأحلام حتى لو كانت من رجل (حلم 24)

أيضا كان المسكن يفاجئنا في الأحلام حتى الآن إما بالفراغ والوحشة، وإما بظهور شخص فيه عند العودة إليه، شخص لم نتوقعه أو كنا تركناه خارجه (حلم 5)

هنا أيضا هو وجدها مستقرة في المسكن،

فنربط بين ظهور "الرغبة" و"الدهشة" في بداية لقاءهما وبين الوقت الطيب الذى أمضياه معاً، لكن الوسواس تقول:

فيم أمضيا الوقت الطيب؟

هذا ما تكرر في حلم (2) مثلا وغيره؟؟

وهو بعض ما أشرنا إليه في البداية

هذه المرة هما لايفترقان، بل يخططان للهرب معاً.

مِنْ مَنْ؟

من الأمير

من الوسواس؟؟

من الرسالة؟؟

المهم أنهما سويا، يخططان سويا،

لهرب معاً.